

مدينة القدس من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب

باحثه دكتوراه - قسم التاريخ-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ.أروى عيسى محمد شماخي

المستخلص:

مما هو مؤكد ومتعارف عليه أن القدس مدينة مقدسة عند جميع الديانات والحضارات فهي الملتقى لها جميعاً؛ لذا فقد حظيت القدس باهتمام تاريخي على مدى القرون والعصور المختلفة. ومن خلال بحثنا هذا أردنا تسليط الضوء على امتازت به هذه المدينة من شواهد تاريخية حضارية من خلال عناصرها المختلفة (الموقع، التضاريس، السكان، الأنشطة، المنشآت الدينية)، وبعيون رحاله عرب وثقوا مشاهداتهم في هذه المدينة، وعن طريقهم وقفنا على عدد من الآثار الحضارية والتاريخية والأحداث السياسية التي تركت بصماتها على مدينة القدس. وقد تتعنا فيه منهج البحث التاريخي التحليلي لإبراز أهم ما امتازت به هذه المدينة من نواحي مختلفة بشكل عام وحرصنا على بيان الأهمية الدينية خلالها بشكل خاص وقد تجلى ذلك من خلال الدور الحضاري الذي لعبه الخلفاء المسلمون في القدس خلال العصور الإسلامية المختلفة. هذا وقد الحقنا البحث بخاتمة تحتوي على نتائج بما خلصت إليها هذه الدراسة منها: أولاً التأكيد على أهمية كتب الجغرافيا والرحلات باعتبارها مصدراً مهماً من مصادر التاريخ؛ فهي كالمادة الخام بما حوته من معلومات، تشمل كافة المظاهر السياسية والاقتصادية والعمرانية والحضارية والاجتماعية. ثانياً: أبرزت كتب الرحلات أهمية مدينة القدس من الناحية الحضارية وذلك عائد لتعاقب الإمبراطوريات والحضارات المختلفة على المدينة.

الكلمات المفتاحية: القدس، بيت المقدس، رحالة، خسرو، المقدسي، العبدري .

The city of Jerusalem through the writings of Arab travelers and geographers

Mrs. Arwa Issa Muhammad Shamakhi- Doctoral researcher - History Department - College of Sharia & Islamic Studies - Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia.

Abstract:

It is certain and well-known that Jerusalem is a holy city for all religions and civilizations, as it is the meeting Point for them all. Therefore, Jerusalem has got historical attention over the centuries and different eras. Through this research, I wanted to shed light on the historical and cultural evidence that has distinguished this city through its various features. (location, terrain, population, activities, religious facilities), and through the eyes of Arab travelers they documented their observations on this city, and through them we came upon a number of cultural and historical monuments and political events that left has their mark

on the city of Jerusalem. I have followed the analytical historical research approach to highlight the most important features that distinguished the city from different aspects in general and In order to highlight the religious importance in particular that was demonstrated by the cultural role played by the Muslim caliphs in Jerusalem during the various Islamic eras. I have supplemented the research with a conclusion containing the results of this study. Some of them are as follows: Firstly, emphasizing the importance of geography and journeys books as an important source of history. It is like raw material with the information it contains, including all political, economic, urban, cultural and social aspects. Secondly: Travel books highlighted the importance of the city of Jerusalem from a cultural standpoint, due to the succession of different empires and civilizations over the city.

Keywords: Jerusalem, Jerusalem, traveler, Khusraw, Al-Maqdisi, Al-Abdri.

مقدمة:

تعتبر مدينة القدس ذات اهمية تاريخية منذ القدم لما حظيت به من مكانة دينية لدى جميع الاديان السماوية وقد تناولها الكثير من الرحالة والمؤرخين اليهود والنصارى والعرب في كتاباتهم لما حظيت به وفقاً لذلك ،بل كانت أول المدن الدينية والتاريخية والثقافية والاقتصادية التي عرفتها البشرية ، وقد عنا المؤرخين العرب والمسلمين بالكتابة عنها فضلاً عن زيارتها بمقاصد دينية. ودونوا رحلاتهم فيها ، فيأتي في اولى تلك الكتابات ما اورده المقدسي بقوله: «كنت يوما في مجلس القاضي المختار أبي يحيى بن بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر ،الى أن سُئلت : أي بلد أجل؟ قلت : بلندا. قيل : أيها أطيب ؟ قلت بلندا. قيل : أيها أفضل؟ قلت بلندا . قيل: أيها أحسن؟ قلت بلندا. قيل : فأيتها أكثر خيرات؟ قلت: بلندا. قيل : فأيتها أكبر؟ قلت: بلندا. فتعجب أهل المجلس من ذلك ، وقيل : أنت رجل محصل ،وقد ادعيت ما لا يقبل منك ،وما مثلك إلا كصاحب الناقة مع الحجاج! قلت: أما قولي أجل ؛ فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

الأسماء التي اطلقت على المدينة :

هذا وقد برزت أسماء عديدة لمدينة القدس عبر الازمنة التاريخية نظراً لمكانتها الدينية والثقافية والتجارية عند الامبراطوريات القديمة ،كما تعد من أقدم المدن التاريخية فهي أقدم من مدن بابل⁽²⁾ ونيوى⁽³⁾، ويأتي اسم ييوس الذي يدل على القوة والصلابة من البيوسيين بناء القدس الأولون عام 3000 قبل الميلاد ،وهم من بطون العرب الأوائل الذين نشأوا في صميم الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها ، ثم نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية ، ويعود لهم الفضل في بناء قلعة صهيون التي كانت موجودة في مدينة القدس⁽⁴⁾.وما أن استقر وضع البيوسيين في المدينة الجديدة حتى أرسى ملكهم (ملكيسادق) قواعد العدل وعرف بالثقوى حتى لقب بملك السلام ومن هنا جاء اسم المدينة (سالم) و(شالم) و أور « كلمة تعني المدينة والأصل الآرامي (أورشالم) أو (أور سالم) ومنها جاءت اسم أورشليم الذي ذكر في التوراة لما يزيد على

ستمائة مرة⁽⁵⁾. وقد بقيت المدينة تعرف بإسم أورشليم ويبوس حتى بدأ عهد الإمبراطور أديانوس الذي قام بهدم القدس بعد ثورة باركوخبا اليهودية ما بين عامي 132م / 135م، وأمر ببناء مدينة جديدة مكانها أطلق عليها اسم ايليا كابيتولينا⁽⁶⁾، وبقيت مدينة القدس تعرف باسم ايليا حتى نهاية العصر الأموي⁽⁷⁾، حيث ظهر الاسم في العهدة العمرية⁽⁸⁾، وفي العلامات الحجرية التي وضعت من قبل عبد الملك بن مروان (86هـ) لبيان المسافات بين مدينة القدس ومدينة دمشق ومدينة الرملة، ووضع في مواضع معينة حجارة نقش عليها اسم الذي امر بتعمير الطريق⁽⁹⁾، كما ان عبد الملك كان يثق بالنصارى الى درجة انه استخدمهم في المسجد الأقصى وسمح لهم بتوارث الخدمة فيها⁽¹⁰⁾ وهذا يدل على تسامح المسلمين وتعايشهم السلمي مع جميع الديانات الاخرى بل وثقتهم فيهم بدليل بقاء اسم ايليا للمدينة، وفي شعر الفرزدق الشهير:

وبيات بيت الله نحن ولاته وبيت بأعلى ايلياء مشرف

ويعني اسم القدس المطهر، أو المكان الذي يطهر الذنوب، كما ذكر في لسان العرب أن القدس يعني التَّقْدِيسُ و الطهر والتطهير بمعنى التَّنَزُّه عن العُيُوب والنِّقَاص أي السلامة والسلام وقريب منه (العافية) و (البركة). فالمقدس طاهر ومطهر ، منزّه عن العُيُوب والنِّقَاص ، سالم وسليم ، معافي ، مبارك⁽¹¹⁾. قال تعالى : إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى⁽¹²⁾، وقال : ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، أي المطهرة⁽¹³⁾. وقد أطلق هذا الاسم على المدينة في العصر العباسي زمن ابو جعفر المنصور ، حيث اصيبت المدينة بزلزال عام 747م أضر بالمسجد الأقصى فأمر بإعادة بنائه ولم يكن معه من المال ما يكفي لذلك ، فأمر بنزع صفائح الذهب والفضة التي على الأبواب ، فصكت النقود باسم مدينة القدس⁽¹⁴⁾، وذكرت العديد من المصادر التاريخية أن أهل الشام يطلقون عليها اسم القدس، بينما أطلق عليها أهل العراق والمشرق اسم بيت المقدس.

احتلت مدينة بيت المقدس في الدعوة الإسلامية من البداية مكاناً هاماً فقد أُشير إليها عدة مرات في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية، وكانت قبله الإسلام الأولى وإليها كان إسراء النبي محمد عليه الصلاة والسلام ومنها كان عروجه⁽¹⁵⁾.

موقع المدينة :

تقع مدينة القدس في وسط دولة فلسطين، حيث تبعد عن البحر الأبيض المتوسط حوالي 52 كم، وعن البحر الميت 22 كم، وتبلغ مساحتها 44500 دوماً⁽¹⁶⁾، ويعتبر المسجد الأقصى وكنيسة القيامة⁽¹⁷⁾ من أهم معالمها، كما تتميز المدينة بأبوابها السبعة، وأسواقها وأبراجها القديمة، وقد أطلق عليها الكثير من الأسماء في العصور التاريخية المختلفة التي توالى عليها، حتى باتت تعرف اليوم باسم مدينة القدس. وقد أجمع الرحالة على أن مدينة القدس مدينة جبلية حصينة يحيط بها سور من صخور غليظة، فيقول العبدري «والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة على نشر غليظ مقطوع بجهات الاودية»⁽¹⁸⁾، كما أُحيطت المدينة بالكثير من الخنادق، ومما أتفق الرحالة على مشاهداتهم له هو السور الذي تعرض للهدم فيذكر العبدري «وسورها مهدوم هدمه الملك الظاهر خوفاً من استيلاء الروم عليها وامتناعهم بها»⁽¹⁹⁾ ووجود هذا السور يدل على كثرة ما تعرضت له المدينة من حروب عبر التاريخ. أما مناخها فوقع المدينة وسط سلسلة من الجبال منحها مناخاً لطيفاً صيفاً وبارداً شتاءً ومن ذلك قوله المقدسي في وصفه « لاشديد البرد وليس بها حر وقل مايقع فيها ثلج»⁽²⁰⁾. والجدير ذكره أن أغلب الرحالة بعد العبدري يكادون على ذات الوصف حتى من جاء في فترة

متأخرة منهم⁽²¹⁾. أما في العصر الحديث فقد نقل لنا الرحالة الحضارم صورة عن القدس القديمة تشابه في وصفها الوصف الأولي لأغلب الرحالة، فكانت القدس في وصفهم ذات شوارع ضيقة جداً ومرصعة بالحجارة، ومن ضيق شوارعها العربات لا تستطيع دخولها، باستثناء شارع الواد، كما كان لها سوق مسقوف، ويحيط بها من جميع جوانبها سور من الحجر، ولها خمسة أبواب: باب النصر، باب الخليل، باب داود، باب الأسباط. أما القدس الحديثة فكانت منازلها مرتفعة تُصَّب أحياناً أربعة ادوار. ومن مشاهدتهم فيها حارة لليهود بدأوا عمارتها حديثاً حيث لم يكونوا اليهود قد بدأوا في استيطانها بشكل مكثف قبل ذلك⁽²²⁾.

سكانها وأنشطتهم:

أولاً: النشاط التجاري:

يورد ناصر خسرو أن عدد سكانها بلغ عشرون ألفاً، ويشير البلوي أن أغلبهم من الاثرياء فيقول انها «ضخمة البناء واسعة الفناء تشهد لسكانها بالثراء والسناء»، وفي هذا الصدد نذكر أن المدينة عرفت أنواع مختلفة من الصناعات والصناعات مما عكس ازدهار الحالة الاقتصادية والتجارية بها، فكان لكل صناعة سوق خاصة بها، ولعل هذا ما جعل البلوي يصفها بقوله «أحسن المدائن أرقة وأسواقاً»⁽²³⁾ يتفق معه في هذا الرأي المقدسي حين يُشيد بأسواقها فيقول: «ولأطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها» هذا وقد أسهب خسرو في وصف النشاط الاقتصادي فيقول «اسعارها معتدلة، زيتها كثير، كثير من رؤسائها يملك الواحد منهم خمسين الف (يقابل 4200 تنكة) من زيت الزيتون، يحفظ الزيت في الآبار والاحواض، ويصدر الى خارج البلاد، ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الاجزاء السفلى من الاشجار لحفظها من الديدان، ويستعمله الصيادلة من اجل صيانة العقاقير من الحشرات»⁽²⁴⁾، والجدير بالذكر انه كان يستفاد من الزيت لإمداد مصابيح المسجد بالزيت اللازم لإضاءتها، حيث يبلغ عدد المصابيح أكثر من سبعمائة مصباح⁽²⁵⁾.

ثانياً: النشاط الزراعي:

عُرفت القدس منذ القدم بندرة مائها فمصادر المياه فيها كانت شحيحة وهو ما أوردته أغلب الرحالة العرب والأجانب، فيذكر ابن بطوطة ان جلب الماء اليها تم عن طريق الامير سيف الدين تنكيز⁽²⁶⁾ أمير دمشق⁽²⁷⁾. وهو ما أكدته ناصر خسرو الذي زار القدس في فترة سابقة له، ومع ذلك فهو يشير إلى اكتفاءها الذاتي من المياه، حيث تعتمد المدينة على مياه الأمطار التي تجري في مجار مائية مبطنة ومستوية تميل من أعلى إلى أسفل ويتجمع فيها ماء المطر، ويخزن في أماكن معدة لتخزين المياه فوق أسطح المنازل أو في أحواض أو صهاريج كما وجدت قنوات لصرف المياه وهو ما عكس تقدم المدينة ودقة تنظيمها⁽²⁸⁾. وبالرغم من قلة ماءها فقد اشتهرت القدس بزراعة المحصولات التي لا تحتاج لوفرة المياه وفق ما ذكره «ناصر خسرو» ومنها الزيتون والتين والجميز والحنطة والكثير من الفواكه بل هي من أخصب البلاد ولقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى في بركة أرضها قال تعالى «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»⁽²⁹⁾.

الحياة العلمية:

أظهر الرحالة بعد العبدري الذي أشار إلى إنعدام الحياة العلمية في القدس في الفترة التي كان متواجد بها⁽³⁰⁾ التطور الكبير في الحياة العلمية في القدس من خلال المحدثين والقضاة والخطباء والمدرسين

والمتصوفين الذين التقاهم ابن بطوطة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر المفتي شهاب الدين الطبري، والشيخ كمال الدين المراغي، والخطيب عماد الدين النابلسي ومنهم مدرس المالكية أبو عبدالله بن محمد الغرناطي وهذا مما يدل على التنوع المذهبي الذي شهدته تلك الفترة⁽³¹⁾. ويؤكد ذلك ما أورده المقدسي «وفيها كل حاذق وطبيب، وإليها قلب كل لبيب، ولاتخلو كل يوم من غريب»⁽³²⁾.

إذاً نستنتج مما سبق الازدهار العلمي الذي شهدته العهد المملوكي وظهر جلياً في عدد المنشآت الدينية والمدنية التي كانت آية في العمارة، حيث أجروا إصلاحات كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وقد بلغ عدد المنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسة وسبعين رباط وعشرات الزوايا⁽³³⁾. وبالرغم أن العبدري نقل لنا صورة مغايرة عن الحياة العلمية في القدس أوجزها بقوله «ولم أر في هذا البلد، مع شرفه اشتهاه من هو أهل لأخذ العلم عنه ولا معنيا به»⁽³⁴⁾ إلا أنه في موقع آخر من رحلته يُشيد بجهود الظاهر بيبرس (ت 676 هـ / 1277 م) في عنايته بالأوقاف وإنشاء المساجد حيث أوقف قرية دنا للحرم وأمر بتجديد مسجد الخليل كما أشار إلى اهتمامهم بإنشاء الأربطة فيقول «وبها رباطان غاية في الإتقان، بنى أحدهما الملك المنصور، وبنى الآخر الأمير علاء الدين. وفي كليهما رزق جار للمنقطعين وأبناء السبيل»⁽³⁵⁾ والحقيقة التي تجب الإشارة إليها أن هذه الرحلتين بالرغم من قلة ما أورثتهم من معلومات في هذا الشأن إلا أنها عكست واقعاً ميّز تلك الفترة من العهد المملوكي تمثل في إكثارهم من الأوقاف والأربطة والمدارس والزوايا.

الحياة الصحية:

يعتقد أن أول مستشفى أسس في القدس يعود للعهد العبيدي سنة 1005/5395م، ويعد في ذات الوقت معهداً علمياً، وكان يقع على حافة وادي جهنم في القدس، ووادي جهنم قريب من سور الأقصى من الجهة الشرقية، وقد جاء خسرو، على ذكره بل يكاد ينفرد به بأنه «مستشفى عظيم، عليه أوقاف طائلة، ويصرف لمرضاه العديد من العلاج والدواء، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف»، ولم يورد خسرو أي معلومات إضافية عن ذلك المستشفى، فلم يتحدث عن أقسامه، أو عدد المرضى الذين يُمكنه استيعابهم أو أسماء الأطباء العاملين فيه، ولا يُستبعد أن يكون هذا المستشفى قد شُيد في أثناء تواجد خسرو بالقدس، خاصة أن القدس شهدت ازدهاراً واضحاً في مجال الطب في عصر الدولة الفاطمية وشهدت وجود أحد أشهر الأطباء المقدسيين وهو التميمي المقدسي⁽³⁶⁾.

منشآتها الدينية:

تنوع الديانات بها أنعكس بدوره على منشآتها الدينية عبر التاريخ، فعرفت مدينة القدس أحد أهم المساجد الإسلامية وهو المسجد الأقصى، كما شُيدت فيها عدد من الكنائس منها كنيسة القيامة.

أولاً: مسجد القدس:

مسجد القدس ثالث الحرمين الشريفين في الفضل، وأتفق الرحالة على أنه من أعجب المباني في تصميمه الهندسي المعماري و أثنى أغلب الرحالة عرباً وأجانب على حسن بناءه و بديع صنعه فذكر الشريف الإدريسي: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه ولا يباهية قدراً المسجد قرطبة في الاندلس⁽³⁷⁾، أما في صفته بالرغم من أن أغلب الرحالة أوردوا مقاسات المسجد الأقصى إلا أننا نكتفي هنا بما أورده الحنبلي في هذا الشأن حيث يذكر أنه حرص على أن تكون تلك المقاسات التقريبية في حضوره حرصاً على الدقة.

فيلبغ طوله حسب ما أورده من الشمال حيث محراب داود عليه السلام الى باب الأسباط ستمائة وستين ذراعاً، ويبلغ عرضه من السور الشرقي المطل على باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي أربعمائة ذراع وستة أذرع، ويبلغ عرضه من القبلة إلى الجوف أربعمئة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً، وله خمسة عشر باب في جهاته الثلاث⁽³⁸⁾.

أما قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ / 691 م، فهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، وهي قائمة على نشر في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، وهي الباب القبلي، وباب اسرافيل، وباب الصور، وباب النساء. والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً، محكم الصنعة، وكذلك داخلها. كما زُين خارجها بالذهب⁽³⁹⁾. وأقام الوليد بن عبد الملك الجزء المغطى⁽⁴⁰⁾ في المسجد الأقصى بعد ذلك بسنوات قلائل، حوالي سنة 90 هـ⁽⁴¹⁾. وقد تعرض الجزء المغطى للتخريب بسبب الزلازل فأدخل المهدي بعد ذلك سلسلة من الإصلاحات والترميمات، فأركزت أجزاء المغطى على دعائم إسطوانية الشكل، كان متوسط قطرها 90 سم، وهي مبنية على مداميك حسب ما تبين بعد إزالة الطبقة الجصية التي تغطيها، وهو ما أشار إليه المقدسي بقوله: «وما كان من الأساطين المشيدة فهو محدث»⁽⁴²⁾.

أما سقف المسجد القبلي بحسب وصف ناصر خسرو فهو مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف، وعلى باب المقصورة، وحائطها المطلين على الساحة خمسة عشر رواقاً، عليها أبواب مزخرفة بتيجان الأعمدة والمقصورة، وقوسها وفرشها، وبعدد محاريبها وأروقتها وأبوابها، وما أشتملت عليه جميعاً بدقة تامة، وذكر أن أحد الأبواب الخمسة عشر «بغاية الزين، وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب، وقد نقش بالفضة، وكتب عليه اسم الخليفة المأمون ويقال أنه هو من أرسله من بغداد»⁽⁴³⁾. وفي المسجد الجامع عدد من المشاهد يذكرها المقدسي «محراب مريم، وزكريا، ويعقوب، والخضر، ومقام النبي، وجبرئيل، وموضع النملة، والنور والكعبة والصراط، متفرقة فيه، وليس على الميسرة أروقة»⁽⁴⁴⁾. ويُشير خسرو إلى ميزة معمارية تدل على براعة المسلمين، وهي أن المسجد يستمد إضاءته نهائراً من ضوء الشمس سواءً كانت الابواب مفتوحة أو مغلقة «وحين تفتح الأبواب كلها يُنير المسجد حتى لتظن إنه ساحة مكشوفة، أما حين تعصف الرياح وتمطر السماء تُغلق الابواب؛ فإن النور ينبعث للمسجد من الكوات، وعلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق يجلس بجانبها المجاورون»⁽⁴⁵⁾. والجدير بالذكر برجعنا لأغلب مصادرنا المعتمد عليها في هذا البحث من خلال كتب الرحالة أن جميعهم تناولوا المسجد الأقصى من الناحية الفنية، كما أنها لا توفر معطيات كافية من الناحية العمرانية باستثناء البعض منهم كنصر خسرو والمقدسي، في حين المقدسي كان أكثرهم دقة وتفصيلاً في ذلك، وهذا ربما لأنه ابن المدينة والاكثر إحاطة بأحداثها وتفصيلها. ويذكر البلوي بعض المساجد الأخرى الملاصقة للمسجد الأقصى منها مسجد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويقع شرقي المدينة، ومسجد عيسى الواقع خارج المسجد الأقصى من ناحية المشرق وله قبتين، وفي غرب المسجد الأقصى مسجد حسن للمالكية يسمى بمسجد المغاربة⁽⁴⁶⁾.

كنيسة القيامة:

أورد الادريسي عدد من الكنائس⁽⁴⁷⁾. في القدس إلا أننا نكتفي هنا بأشهرها وأعظمها وهي كنيسة القيامة أو كما يعرف بكنيسة القمامة⁽⁴⁸⁾ وهي كنيسة كبيرة تتسع لثمانية آلاف رجل، زُين داخلها بالزخارف

والرخام الملون ،كما تزخر جدرانها بصور الأنبياء عيسى وإبراهيم ويعقوب وأبنائهم ،وقد ذكر خسرو قولاً مفصلاً في وصفها ،فنستنتج مما ذكره في سفر نامة التسامح الديني الذي منحه المسلمين لسكانها من الديانات الأخرى فلم يكتفوا بالسماح لهم بالحج ،بل زادوا على ذلك أن سمحوا لهم بإعادة تجديدها حتى أصبحت من أعظم كنائس الشرق في حُسْنِها.

الأودية والعيون:

أورد الرحالة عدد من العيون التي كانت في القدس ومنها ما ذكره خسرو والهروي عن « عين سلوان » بأن مائها مبارك يشفي من الأمراض والاسقام حتى أُوقفت عليها الكثير من الأوقاف وأُقيمت حولها الكثير من المباني والبساتين، ونكتفي بوصف الهروي لها بقوله «ماؤها كماء زمزم، وهي تخرج من تحت قبة الصخرة ،وتظهر الوادي قبلي البلد». كذلك من الآبار بئر كنيسة اليعاقبة حيث يقال أن المسيح أغتسل منها ،وَأمنت السامرية على يده عندها ويزورنها ويعتقدون بها⁽⁴⁹⁾.

هذا وقد ذكر أغلب الرحالة من الأودية وادي جهنم وتنسب تسميته حسب ما ذكر خسرو لعمر بن الخطاب فيقول «وقد سألت عمن اطلق عليه هذا اللقب ف قيل :إن عمر بن الخطاب أنزل جيشه أيام خلافته في سهل الساهرة هذا ،فلما رأى الوادي قال :هذا وادي جهنم» وبه قبر مريم أم عيسى عليه السلام ،ينزل عليه في ستة وثلاثين درجة، وبه من العمدة المانع والرخام تحت القبة ستة عشر عاموداً من الرخام ،ثمانية حُمر وثمانية حُضر ،وله أربعة أبواب على كل باب ستة عمد من الرخام المانع وبها كنيسة .وهي الآن مشهد لإبراهيم الخليل عليه السلام ⁽⁵⁰⁾. وفي سنة (922 هـ/ 1516 م) وضع السلطان سليم العثماني الملقب بياوز القدس الذي وضع حداً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره في معركة مرج دابق وفي السنة التالية ضم اليه القدس. ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه سليمان القانوني (927 هـ/ 1520 م) الذي اهتم بالقدس اهتماماً خاصاً فأُقيمت الدروس وحلقات العلم في المسجد الأقصى⁽⁵¹⁾، كما أقام فيها منشآت كثيرة منها سور القدس الذي دامت عمارته خمسة أعوام، وتكية خاصكي سلطان، ومساجد و أسبله، وعمر كذلك قبة الصخرة⁽⁵²⁾.

الخاتمة:

بعد ومضات جميلة صورتها لنا أعين الرحالة لمدينة الحضارات التي تضم بين جنباتها مقدسات دينية جعلت منها موطن قدم لكل من معتنقي الديانات السماوية الثلاث اليهودية المسيحية والإسلام. هذا الإرث التاريخي الحضاري الديني خلق منها أهمية عظيمة لذا فقد حرص عدد من الرحالة سواءً عرب أو أجنب على زيارتها والوقوف على ما تميزت به هذه المدينة عن سواها من المدن وقد تعرفنا مع الرحالة العرب على الشواهد التاريخية والحضارية والدينية .

النتائج:

ختاماً فقد توصلت الباحثة لعدد من النتائج منها:
أولاً: تعد كتب الجغرافيا والرحلات مصدراً مهماً من مصادر التاريخ؛ فهي كالمادة الخام بما حوته من معلومات، تشمل كافة المظاهر السياسية والاقتصادية والعمرانية والحضارية والاجتماعية.
ثانياً: امتاز عصر المماليك (1517-1250هـ) بكثرة عدد الرحالة سواء كانت للعلم أو للتجارة أو للحج والعمرة

وغيرها، بسبب التسهيلات التي منحتها دولة المماليك فضلاً عن تأمين الطرق والمرافق العامة التي تخدم ذلك.

ثالثاً: تعد مدينة القدس رمزاً حضارياً بما احتوته عمارتها من الفنون المعمارية والنحت كانت غاية في الإبداع. وذلك عائد لتعاقب الإمبراطوريات والحضارات المختلفة على المدينة . وهو ما لمسناه من إجماع أغلب الرحالة من خلال كتاباتهم عن المدينة.

رابعاً: أقتصر تناول أغلب الرحالة في وصفهم لمدينة القدس من الناحية الدينية لاحتوائها على الأماكن المقدسة. واغفلوا في المقابل التفصيل في المعلومات المتعلقة بالمدينة من حيث سكانها أنشطتهم، مبانيها، تجارتها، وكافة أوجه الحياة بها.

الملاحق



الرواق الابراهيمي



قبة الصخرة والسلسلة وهي جزء من المسجد الأقصى

الهوامش:

- (1) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1991م ص151.
- (2) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثانية، 1995 م، ج1، ص309.
- (3) نينوى : وهي قرية يونس بن متى، عليه السلام، بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين، رضي الله عنه ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص339.
- (4) الهروي، مصدر سابق، ج1، ص31. عارف باشا العارف، تاريخ القدس، مصر ، دار المعارف، 1951م، ص11. أحمد يوسف القرعي، عروبة القدس في عيون الرحالة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006. ص71؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج3، بيروت، دار التراث، 1387م. ص 607.
- (5) عارف باشا العارف، تاريخ القدس، مصر، دار المعارف، 1951م، ص11 .
- (6) باشا، مرجع سابق، ص36.
- (7) محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي شمس الدين السيوطي أبو عبد الله، إتحاف الأخصا بفنائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م ، ج1، ص93.
- (8) العهدة العمرية : معاهدة كانت بزمان عمر بن الخطاب وبطريق القدس اتفق فيها على شروط تسليم المدينة واعتبرت تلك الوثيقة من الآثار الخالدة الدالة على عظمة تسامح المسلمين وأهمية القدس لديهم ، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ط2، ج3 ، مصر ، دار المعارف، 1976م، ص610-605 .
- (9) باشا، مرجع سابق، ص51 - 52.
- (10) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: 928هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، عمان ، مكتبة دنديس، ج1، ص281.
- (11) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الثالثة - 1414 هـ ، ج15 ، ص40 - 41 .
- (12) سورة طه : الآية 12 .
- (13) سورة المائدة : 21 .
- (14) الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص281-282؛ الحموي، مصدر سابق، ج5، ص166؛ عارف باشا ، مصدر سابق ، ص54.
- (15) الهروي، الاشارات في معرفة الزيارات ، ج1، ص31.
- (16) الحموي، مصدر سابق، ج5، ص170.

- (17) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي، وتوفي سنة 611 هـ، الاشارات في معرفة الزيارات، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1423 هـ، ج1، ص34-33.
- (18) العبدري، مصدر سابق، ص228؛ خسرو، مصدر سابق، ص56.
- (19) العبدري، الرحلة المغربية، ص228.
- (20) أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني المعروف بالشريف الادريسي، نزهة المشتاق في إختراق الافاق، ج1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002. ص358؛ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص166-165.
- (21) ومنهم الرحالة المغاربة زمن الحكم العثماني في وصفة لمدينة القدس لم يأتي بجديد عما ذكره العبدري. ابي سالم لعياشي، ماء الموائد، ج2، الرباط: المطبعة الحجرية، د.ت. ص217-216.
- (22) القرعي، مصدر سابق، ص58.
- (23) تاريخ القدس، ص65. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المشهورة ب(رحلة ابن بطوطة)، دار صادر، بيروت، د.ت. ص54.
- (24) خسرو، مصدر سابق، ج1، ص56؛ باشا، مصدر سابق، ص65؛ البلوي، مصدر سابق، ص15.
- (25) القرعي، مصدر سابق، ص57.
- (26) سيف الدين أبو سعيد نائب السلطنة بالشام، اشتراه السلطان حسام الدين لاجين ثم أنقل للسلطان الناصر وشهد معه معارك الخازندار وشقج ضد المغول، تولى النيابة سنة 712هـ، وكانت له أعمال جليلة منها اعمار جامع حكر السماق، إنشاء تربة حمام، وعمر دار للقرآن، وأنشأ بالقدس رباطاً وبالجمله كان كريماً أمر بالمعروف، توفي سنة 714هـ. صلاح الدين خليل ابيك الصفدي، الوافي الوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ج10، بيروت، دارا التراث، 2000، ج10، ص266.
- (27) المقرئزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج2، ص302؛ أحمد الطريبق أحمد، القدس بحث عن معالم الصورة من خلال الرحلة المغربية، طنجة، سليكي إخوان، 2009، ط1، ص51، 74-73.
- (28) ناصر خسرو، مصدر سابق، ص55، 64-63؛ محمد محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، د.ن. ص161-160؛ محمد بن حوقل البغدادي الموصل، صورة الأرض، ج1، بيروت: دار صادر، 1938م. ص172-171. القرعي، مصدر سابق، ص75.
- (29) سورة الاسراء، الآية 1.
- (30) العبدري، مصدر سابق، ص230.
- (31) القرعي، مصدر سابق، ص51.
- (32) المقديسي، مصدر سابق، ص166.
- (33) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، الدمام، مكتبة المتنبي، 2011م، ص73-72؛ باشا، مصدر سابق، ص88-92.
- (34) العبدري، مصدر سابق، ص230.
- (35) العبدري، مصدر سابق، ص228.

- (36) خسرو، مصدر سابق، ص57.
- (37) الادريسي، مصدر سابق، ص359.
- (38) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، ج2، عمان: مكتبة دنيس، 2010م، ص13-11، 24؛ المقدسي، مصدر سابق، ص 168-169.
- (39) الادريسي، مصدر سابق، ص360؛ الحنبلي، مصدر سابق، ص 273-272؛ المقدسي، مصدر سابق، ص159، 169؛ العبدري، مصدر سابق، ص232.
- (40) هو المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى، ويقع في منتصف الجهة القبليّة، حيث درجت العادة على إطلاق اسم المسجد الأقصى على هذا المبنى تمييزاً له عن مسجد قبة الصخرة والمعالم الأخرى المنتشرة في ساحات المكان. عدنان أبو دية، المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي 648-583هـ/1250-1187م، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن، عشر، عدد2، يونيو، 2010، ص1054؛ وقد سمي بالأقصى؛ لأنه أبعد المساج التي تزار. محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمد الارناؤوط وياسين محمود الخطيب، غزة: مكتبة السوادي للتوزيع، 2003م، ص195.
- (41) المقدسي، مصدر سابق، ص168.
- (42) المقدسي، مصدر سابق، ص169 - 170.
- (43) خسرو، مصدر سابق، ص61 - 65.
- (44) المقدسي، مصدر سابق، ص169-170.
- (45) خسرو، مصدر سابق، ص61 - 65.
- (46) البلوي، مصدر سابق، 6؛ الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص13-12، 15.
- (47) لما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية أعاد إلى المدينة اسم أورشليم وقامت والدته هيلانة ببناء الكنائس فيها . باشا، مصدر سابق ، ص38
- (48) الادريسي، مصدر سابق، ص358.
- (49) الهروي، مصدر سابق، ص33،
- (50) الادريسي، مصدر سابق، ص362؛ خسرو، مصدر سابق، ج1، ص57؛ الهروي، مصدر سابق، ص33.
- (51) العياشي، مصدر سابق، ج2، ص347-346.
- (52) باشا، تاريخ القدس، ص104-103.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- (53) الادريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني المعروف بالشريف ، نزهة المشتاق في إختراق الافاق، ج1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.
- (54) البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، د.ن، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1991م .
- (55) البعلي، محمد بن ابي الفتح بن أبي الفضل المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق :محمد الارناؤوط وياسين محمود الخطيب، غزة، مكتبة السوادي للتوزيع، 2003م، ص195.
- (56) البغدادى، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، القاهرة: دار الحديث، د.ن.
- (57) البلوي، خالد بن عيسى ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، ج1، د.م: اللجنة المغربية الاماراتية المشتركة ، د.ت.
- (58) الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، ج2، عمان، مكتبة دنيس، 2010م.
- (59) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، معجم البلدان، ج1، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثانية، 1995 م .
- (60) الحيحي، محمد بن عبدالله ، الرحلة المغربية، (رحلة العبدري)، الرباط، د.ن، 1968م.
- (61) السيوطي، محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي شمس الدين السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، ج1، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982م .
- (62) الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي الوفيات، تحقيق :أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ج10، بيروت، دارا التراث، 2000م.
- (63) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار التراث، 1387هـ.
- (64) الطنجي، ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاشعار، تحقيق: عبدالهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية ، د.ت.
- (65) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج2، بيروت، دارالكتب العلمية، د.ن.
- (66) الإفريقي ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ.
- (67) المروزي، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، سفر نامه، ج1، ط3، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1983م.
- (68) الموصلي، محمد بن حوقل البغدادي ، صورة الأرض، ج1، بيروت، دارصادر، 1938م.
- (69) الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي ، الاشارات في معرفة الزيارات ، ج1، ط1، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، 1423 هـ.

ثانياً المراجع:

- (1) أحمد الطرييق أحمد، القدس بحث عن معالم الصورة من خلال الرحلة المغربية، ط1، طنجة، سليكي إخوان، 2009م.
- (2) العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، مصر، دار المعارف، 1951م.
- (3) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، الدمام، مكتبة المتنبي، 2011م.
- (4) القرعي، أحمد يوسف، عروبة القدس في عيون الرحالة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006م.

الدوريات:

- (1) الفرائي، عبد الحميد جمال، كتب الرحلات مصدراً لمنشآت العمرانية في فلسطين في القرنين (5-4هـ/10 - 11م)، المنهل، مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، د.ت.